

المفكر الأفريقي أرنوبيوس

The African thinker arnobius

مسيكة تفات *

جامعة البويرة، الجزائر، m.tafat@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/27؛ تاريخ القبول: 2023/05/29؛ تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

أرنوبيوس (Arnobius de Sicca Veneria). تُجهل سنة ميلاده ولا نعرف الكثير عنه ومن الصعب العثور على المعلومات حول حياته وشخصيته. عرف شهرة كبيرة حيث كان يلقي خطبه في عهد ديكليانوس بسيكا فنيريا. له معارف بالأدب الأفريقية واللاتينية وكذا حبه للأدب الإغريقية، كان محبا لوطنه الأم، فخور بمواطنته الأفريقية، هذه الوطنية دفعته إلى إدانة الاستعمار الروماني، كتب أرنوبيوس مؤلفا تحت عنوان "أعداء الأمة" والذي يتكون من 7 كتب وهذا لتقديم ضمانات للكنيسة بسيكا فنيريا، عرض فيه المسيحية كفلسفة حقيقية وكحل لإحلال الأمل في الخلاص، وتولى الدفاع عن المسيحيين الذين اضطهدهم الحكم الروماني مشيرا إلى أن المسيحية لم تكن يوما سببا بالبلاء الذي أصيب الإمبراطورية الرومانية. خاض مبارزة فكرية قوية ضد الوثنيين؛ وذلك في سرد أدبي راق ورائع تحدّى آلهة الوثنيين، فأرنوبيوس سخر من التناقضات السخيفة في الأساطير والمراسيم الفخمة، التي وجهت للعبادة الوثنية، لا ننسى أن هذا الأخير تأثر بترتليانوس ويمكن اعتبار كتابه "ضد الأمم" تواصل لمؤلفات معلمه ضد الوثنيين إذ استخدم تقنيات استعملها ترتليانوس من قبل في التبرير.

كلمات مفتاحية: العقيدة؛ الفلسفة، الدفاع.

Abstract:

Arnobius (Arnobius de Sicca Veneria). We ignore the year of his birth, and our knowledge about him is short, as it's hard to find out information about his life and personality. He had Latino and African literature knowledge, rather his love for Greek literature, he was proud of being an African, and in love of his homeland. This patriotism spur

him to condemn Roman colonialism. Arnobe wrote a book entitled "the Ennemis of nation "Which consists of 7 books in order to give and ensure guaranties to the Sicca Veneria's church, where he presented Christianity as a real philosophy and a solution to bring hope and salvation, where he presented and supported the defense of Christians who were persecuted by Roman rule, emphasizing that Christianity was never the cause of the calamity that afflicted the Roman Empire. the pagans. He led a hard intellectual duel against the pagans; And that in a beautiful and wondrous literary tale that challenged and defied the Gods of the Pagans, Arnobius mocked the absurd contradictions of legends and the grandiose ceremonies intended for Paganism. it is not forgotten that He (Arnobe) was influenced by Tertullian, and him book "Against the Nations" can be considered a continuation of him teacher's writings against the Pagans, since he used techniques Tertullian had previously doing to justify.

Keywords: creed; Philosophy; defense.

المقدمة:

يعتبر بلاد المغرب القديم من أكبر المقاطعات الرومانية التي توفرت على كتاب وأدباء، خاصة في الأدب المسيحي ومن بين هؤلاء نجد أرنوبيوس ابن سيكا فنيريا (Sicca Veneria\الكاف) فقد كان وثنيا ولم يكن متشعبا بما فيه الكفاية بالدين وروح المعتقد المسيحي، ورغم ذلك أولع به واعتنق المسيحية رغم أنه وجد صعوبة في تقبله كمسيحي. لأن المسيحيين كانوا يرون فيه عدوا لدودا للكنيسة. إلا أنه عرف كيف يدخل في عمق المتنصرين في خضم الاضطهادات التي عرفتها المقاطعة الأفريقية.

الإشكالية: فمن هذه الشخصية؟ وكيف تم قبوله في الكنيسة المسيحية؟ فيما يتمثل مؤلفه؟ كيف تأثر بالمفكر ترتليانوس؟

1-أرنوبيوس بين الوثنية والمسيحية:

1-1حياته

اسمه الكامل باللاتينية أرنوبيوس (Arnobius de Sicca Veneria). تُجهل سنة ميلاده بالتحديد ولا نعرف الكثير عنه ومن الصعب العثور على المعلومات حول حياته

وشخصيته حيث لا يتوفر إلا مصدران فقط لاستقاء المعلومات أولاً كتابه: (Adversus Nationes)⁽¹⁾ وثانيا شهادة جيروم دو ستريدون (Jérôme de stridon)⁽²⁾ الذي ذكره في خمسة نصوص متفرقة⁽³⁾.

فقد كان يلقي خطبه في عهد ديوكليتيانوس (Diocletianus) (284-305م) بسيكا (Sicca Veneria) وهناك تتلمذ على يده لكتونسيوس إذ تجهل سنة ميلاده، لكن ترجح معظم المراجع إلى أنه ولد قبل 250م وتوفي قبل 311م⁽⁴⁾. وكان لأرنوبيوس شهرة كبيرة وهذا ما جعل العديد من الطلبة يقصدونه لتدوُّق خطبه والسماع لدروسه نظرا لمعارفه العميقة⁽⁵⁾، له معرفة بالأدب الأفريقية واللاتينية وكذا حبه للأدب الإغريقية. كان محباً لوطنه الأم مثله مثل العديد من الكتاب الأفارقة ونجد ملامحاً أفريقية كثيرة في كتبه إذ يذكر المآسي الكثيرة التي لحقت بأرض أفريقيا كالجفاف والجراد كما أنه تغنّى بثناء المنطقة بالماشية، وخاصة تنوع الأشجار⁽⁶⁾ وهو معتر وفخور بانتصارات أفريقيا التاريخية القديمة وهو ما يتجلى من خلال كلامه عن حنبعل القرطاجي الذي أفزع روما في عقر دارها⁽⁷⁾.

2-1-تنصره

كان أرنوبيوس وثنياً ورجاً ومطبقاً للديانة الوثنية، حتى أنه اعترف بذلك في الأخير وهذا بدون انزعاج ولا خجل، وفي هذا الشأن كتب: "كنت في وقت ماض قريب وليس بعيد أعبد المنحوتات المصنعة بالحدادة وآلهة مصنعة بضربات المطرقة من السندان، ومن عظام الفيل....وأبارك الأشجار المُسَنَّة بربط الأشرطة عليها.... وعندما تبيّن لي أنها من الخشب، أو الحجارة، أو العظام، أو من شيء آخر من هذا النوع من المواد، أصبحت أحتقرها وأشتمها كثيراً، أما الآن فإنّ موجهي هو (المسيح)⁽⁸⁾."

(1) Hadadou (M.A), les Berbères célèbres, edit, Berti Alger, 2003, p.132

(2) قديس وأب كنيسة، ولد ب ستريديون (Stridon) في كرواتيا (Dalmatie) حوالي (347-420م) ركز في أعماله على الدراسات الإنجيلية.

(3) Hadadou (M.A), Loc.cit

(4) Cabouret (Bernadette), L'Afrique romaine de 69 à 439, edi du temps ; 2005, p.27

(5) Monceaux (P), Histoire littéraire de L'Afrique Chrétienne, Edi, 1901, T3, P.242

(6) <https://www.thelatinlibrary.com/arnobius.html>, I-39

(7) Henri (Le Bonniec) Tradition de La Culture Classique -Arnobé, témoin et juge des cultes Païens-By créative Commons, 1974, p202

(8) Arnobius, Op cit /1-39

إنَّ تاريخ تنصره غير مؤكد، فهناك من يرى أن تنصره يمكن أن يكون إما قبل وإما بعد أكبر اضطهاد للمسيحيين عام 303م.

و بالنسبة لتفاصيل حياته فإننا لا نعرف عنه سوى ما استنتج من كتابه "الدفاع" وكانت التحولات التي شهدتها وثيقة الصلة بالبيئة المعاشة والبيئة الأفلاطونية لأن الكتب الأفلاطونية كانت حكرًا على أرنوبيوس، فقد حصل على الذهنية الأفلاطونية المحدثّة عن طريق المطالعة على كتابات الأفلاطونيين التي تدعو إلى الزهد والتصوف وأن يمارسها بطهارة وإخلاص وبذلك تصبح الروح مشبعة بالحكمة، فتشربت أفكار أرنوبيوس بالأفلاطونية المحدثّة، ونظرًا لتشابهها بالعقيدة المسيحية توجّه إليها مدفوعًا ووضع كتابه " أعداء الأمة " في مجموعة من كتب بمثابة ضمان له فخُطي بالقبول؟

2- مؤلفاته وخصائص كتاباته :

1-2 مؤلفاته

حسب القديس جيروم كتب أرنوبيوس مؤلفًا تحت عنوان "Adversses gentes"، والذي يتكون من 7 كتب والذي وصلنا محفوظًا في مخطوط بعنوان (أعداء الأمة) "Adversses Nationes" (1).

أما فيما يخص تاريخ تأليفه فحسب تعبير القديس جيروم: "بدأ أرنوبيوس في تأليف كتاب (الدفاع) مباشرة بعد تنصره، وهذا لتقديم ضمانات للكنيسة بيسيكا، وكان يكثر التدقيق من أجل الجمع بين الأفكار الدينية والفلسفية" (2).

الكتابان الأولان:

يحتوي الكتابان الأولان الدفاع عن المسيحية من التهم التي وجهها الوثنيون على المسيحيين الذين يعتبرون المسيحية سبب مصائب الدهر، وفقًا لأقوال الوثنيين: "أن منذ ظهور المسيحيون على وجه الأرض حلّ الضعف وأصيب البشر بألف من الشرور.." (3) وأضاف

(1) www.JesusMarie.com, Jérôme(S), sur les écrivains grec et latin

(2) Sébastien(Filion), Histoire de Rome et providence divine selon Arnobe de Sicca, san, edi, 2011,p.2 et Jérôme(s), les hommes illustres, Traduction par (Bareille) L'abbé, paris, edi, 1878 ,79

(3) Arnobius, Op cit,I-3

بقوله: "وحالات الجفاف، والحروب، والمجاعات، والجراد، والفئران، وحجر البرد، وغيرها من الأشياء المؤذية، التي هاجمت على ممتلكات الرجال، جلبت إلينا، غاضبة بأفعالكم الخاطئة وتجاوزاتكم..." فأكد لهم: "أنه لا يوجد وباء جديد يتعلق بالطبيعة أو الحياة البشرية رافق ظهور المسيحية.⁽¹⁾ ويَبين فيه أنَّ الدين الجديد لم يغير أيَّ شيء من مسار العالم، وليس بإمكانه إثارة غضب الآلهة الوثنية، وتساءل عن الجريمة التي ارتكبتها المسيحيون في عبادة الله، ومن ثم أجاب على عدة اعتراضات متنوعة وتحدّث عن المسيح بقوله: "أنه هو الذي فتح كل الأبواب للسلام وأتى بالدين الحقيقي"⁽²⁾ هذا ما يخص الكتاب الأول.

الكتاب الثاني:

هو أطول كتبه، ناقش في أحد فصوله موضوع الروح مقارنة بالفلسفات الوثنية الرئيسية خاصة مع الأفلاطونية الحديثة، إذ تقدم هي أيضا وسيلة ممكنة للخلاص⁽³⁾. كذلك سخر من الوثنيين لأنهم يعتقدون بالآلهة الوثنية ويُقبلون عليها بأعين مغمضة حتى لو كانوا غير مقتنعين بها أو غير متأكدين منها، وأما آراء الفلاسفة فهي مختلفة ومتضادة عندهم، وجادل أرنوبيوس أيضا، كيف يمكن للروح أن تعود إلى الله. وهاجم في آن واحد الأفلاطونيين الذين يدّعون الروح قادرة على العودة إلى الله، من خلال قوة خاصة بالنسبة له من الضروري البقاء مع الله الحقيقي من أجل الحصول على خلود الروح⁽⁴⁾.

الكتاب الثالث:

يحتوي هذا الكتاب على 44 فصلا، بدأ أرنوبيوس كتابه بالهجوم على الوثنية، وغير في تقسيم الكتاب وقدم تقسيما جديدا عن الكتابين الأولين، اللذان يحويان الدفاع عن المسيحية⁽⁵⁾ والكتب من 3 إلى 5 خصصت للهجوم على الآلهة الوثنية أما الكتابين 6 و7 خُصصا لدراسة الطقوس⁽⁶⁾.

(1) Ibid

(2) Ibid I-5

(3) Arnobius, Op cit, II-76.78

(4) Ibid

(5) Sébastien (Filion), Op. cit, p.14

(6) Ibid

الكتاب الرابع:

استفسر أرنوبيوس في بداية الكتاب الرابع عن الآلهة التي يقدسونها قائلاً: "نطلب منكم أيها الرومان، أمراء ورؤساء العالم، ما إذا كنتم تعتقدون أن التقوى والتوافق والسلامة والشرف والفضيلة والسعادة وأسماء أخرى من هذا القبيل، فنراكم على مذابح رائعة. معابد لها قوة إلهية، وتعيش في السماء؟ هل صنفتم الآلهة لمجرد شكلها، لأننا نرغب ونتمنى أن تسقط هذه النعم على مصلحتنا؟ لأنها أسماء فارغة من دون أية مادة، فإنكم تؤلفونها بشرف إلهي..... عددها دون إحصاء وأسماء مزيفة. ولكن إذا كنتم قد حملتهم إلى المعابد، مع التمسك بمزيد من التأكيد على أنها أيضاً آلهة، فإننا نصلي لكم أن تعلمنا في جهلنا، طريق النصر والسلام والإنصاف؟⁽¹⁾ وتحدث عن الطهارة والعفة⁽²⁾.

الكتاب الخامس:

هاجم في هذا الكتاب الأساطير الشهيرة مثل: أتييس (Attis)⁽³⁾. والغرض من ذلك هو تبيانته للوثنيين أنهم ملحدون لأن آلهتهم لا يمكن أن تكون مؤلهة. لأنهم أبدعوا لها قصصاً عبثية من طرف الشعراء وقصصاً كثيرة جداً واحترق أرنوبيوس الآلهة الوثنية لأنها تستلذ الأُمعاء التي انغمست في الخمر، غمروا الكؤوس الغادرة لفترة طويلة، فهذه الطريقة تعرضت الآلهة لخطر النسيان، وغرقت في نسيان أكبر من السبات⁽⁴⁾.

الكتاب السادس:

تضمن هذا الكتاب سلسلة من الهجومات على العبادة العامة بما فيها التماثيل والمعابد، فأرنوبيوس يهزأ منها من بداية الكتاب قال: "يتعين علينا الآن أن نتحدث عن معابدهم، وصورهم، وتضحياتهم، وعن الأشياء الأخرى التي تم تسميتها وترتبط بها بشكل

(1) Arnobius, Op cit , IV-1

(2) Ibid , IV-33

(3) أتييس أو (Atys) . إله من أصل فيرجي فريجيا (Phrygienne) يصور جالس بالقرب من سيبييل (Cybèle) هي أم الآلهة فهو في نفس الوقت الابن والحبيب. عقيدتها لها أسرار منتشرة في بلاد الإغريق وفي جميع أنحاء الإمبراطورية James (Fraser), Le Dieu qui Meurt, Adonis et Osoris, Edi, Robert Laffont coll, §Bouquis\$,1983, P.750

(4) Arnobius, Loc. cit, V-2

وثيق بها..... نحن -المسيحيين- لا نرتاد على المعابد لمراسيم العبادة، ولا نصنع التماثيل والصور لأيّ إله. لا نبي المذابح، لا نقدم دم المخلوقات المقتولة في التضحيات، ولا البخور، ولا وجبة الذبيحة، وأخيراً، لا نجلب النيبذ المتدفق من الأطباق المقدسة؛ ولا نعتز بتصرفات الوثنية الشريرة، تصورنا وشعورنا يائس من ازدراء الآلهة، ولكن إذا كانت فقط آلهة حقيقية، وسميت بهذا الاسم الرفيع - إذا احتقرت لمثل هذه الأوسمة..."⁽¹⁾.

الكتاب السابع:

هذا الكتاب غير كامل فيه 51 فصلاً⁽²⁾. يتكون أساساً من هجمات على الطقوس مثل التضحيات، والترهيب بالنسبة لأرنوبيوس التضحيات ليس لها أساس لتطبق إذا كانت الآلهة هذه إلهية حقاً فما الفائدة التي تجدها في القرايين (التضحيات)، أو في الأشياء الدنيوية.. وفي نهاية الكتاب استخدم أرنوبيوس الأمثلة التاريخية القديمة لتوضيح القيم الإنسانية على الآلهة الوثنية⁽³⁾.

2-2 خصائص كتابة أرنوبيوس

الملاحظة التي ركز عليها بول مونصو انطلاقاً مما ذكره القديس جيروم، أن أرنوبيوس كثير الغموض، ولكن حسب الباحثين -عند تحليلهم للكتاب- وجدوه منيراً في التفاصيل، ومنهجياً ولديه تخطيط محكم ويقدم البراهين؛ ولكنه لا يعرف كيف يتحكم في تخيلاته ولا طبيعة مزاجه النقدي؛ فعندما يوضح ويفصل عند تقديم الأمثلة فإنه يبالغ في التكرار، ربما لأن المؤلف كتبه بسرعة فائقة، فأرنوبيوس يُدخل القارئ في الموضوع ويجعله يستمتع، والمقال ينتهي بشكل طبيعي مع الفصول [35-37] من الكتاب السابع بالمقارنة بين ديانة المسيحيين، وديانة الوثنيين، وهو استنتاج منطقي لكل الاستفهامات وهذا حسب الخطة التي وضعها أرنوبيوس في الكتاب السابع⁽⁴⁾، ومن ميزة الكاتب؛ أنه دائماً يهاجم بكل جرأة، ويستجوب أعداءه ويهزأ من بلاهتهم. وبالتالي باشر منذ البداية بالهجوم على الذين يُلومون

(1) Ibid, VI-14.17

(2) ناقص من حيث الفصول، بداية من الفصل الذي نجد فيه 38 ملاحظات مكررة هناك من يرى أن أحد أقاربهم أضاف هذه الملاحظات إلى الكتاب السابع (الحقيقي). بعد وفاة أرنوبيوس يبدو أنها تتوافق في الآراء هذا يعني أن أرنوبيوس، توفي عند تأليف كتابه السابع وأنه لم ينهه. Monceaux(P), op cit, p.249

(3) Arnobius, Adversus, Opcit, VII-1.32.33

(4) Ibid, VII-34.35.37

الدين المسيحي. وكأنه السبب في كل المآسي، حيث كتب: "أسألهم بكل ألفة وهدوء منذ أن ظهر اسم الدين المسيحي على وجه الأرض، ماهو الشيء غير المألوف والغريب... في الطبيعة؟" (1) ويضيف قائلاً للوثنيين: "أحب أن أستجوبكم وأنذركم وتجيبوني في حوار صغير..." (2) هدف أرنوبيوس من هذا الاستجواب إغضاب وإثارة الحيرة لدى خصومه لمعرفة ظلم إجراءاتهم وتفاهة معتقداتهم وجهلهم لذلك. وفي نفس الوقت يدافع عن المسيحيين الذين يرفضون عبادة الآلهة الباطلة (3).

3-تأثر أرنوبيوس بسلفه الأفريقي ترتليانوس

إذا كان كتاب "ضد الأمم" من أهم أعمال أرنوبيوس في الدفاع عن المسيحية واعتمد على الحوار في الدفاع عن المسيحية والمسيحيين فإنه أظهر التهم التي وجهها الوثنيون للمسيحيين وقدم مباشرة إجابة مقنعة وواقعية لهم وتسليح لذلك بأفكاره واللغة باعتباره كاتب مؤهل وهذا ما بينه من بداية الكتاب الأول أنه سيدافع عن الديانة المسيحية حيث قال: "أنه بقدر ما تسمح لي قدرتي وقدرتي المتواضعة في اللغة، أني سأدحض الاتهامات البليغة.... لأن هذه التهمة تهمة خطيرة" (4) وتمثل هذه التهمة في قول الوثنيين أن منذ وجود المسيحيين في العالم ذهب العالم إلى الخراب وعرف الجنس البشري عللاً كثيرة... "وقدم إجابة على ذلك بأن كل هذه الأحداث التي تحدث، والتي تحدث في ظل هذه الكتلة من الكون، لا يجب اعتبارها رسالة لمزاينا الصغيرة، بل تتوافق مع خطط وترتيبات الطبيعة نفسها" (5).

وازداد حماسه للدفاع عن المسيحيين لأنه يعاملون المسيحيين كأعداء ويكونون لهم البغض والكراهية (6) ولكن رغم ذلك أكد أنه بالنسبة لنا: "نحن المسيحيين ليس من حقنا أن نرد الشر بالشر، بل الأفضل أن نتحمل الضرر على أن نسبب ضرراً لشخص ما وأن يُسفك دمنا على أن نلطخ ضميرنا بدم غيرنا. وهنا العالم مدين كثيراً للمسيح ببركة تلطيف وتوقف الأيادي المعادية عن سفك دم إخوانهم" (7).

(1) Arnobius, Adversus, Loc cit, .VII-1

(2) Ibid I-2

(3) Monceaux (P), Op cit, P.253

(4) Arnobius, Adversus, Op cit. I-1

(5) Ibid I-9

(6) Ibid. I-2

(7) Ibid. I-6

وبالتالي فأرنوبيوس يعرف كيف يقنع القارئ فيبين الظاهرة أو الواقع المعيش ومن ثم يطرح عدة استفسارات وتساؤلات ليدعم إجابته فهو يفحص أهمية اتهامات الوثنيين وفي نفس الوقت يضع جانباً كل الخلافات ويختبر الوثنيين من خلال موازنة الاعتبارات من كلا الجانبين إلى حد ما إذا كان ما يزعمون صحيح ويثبت ذلك من خلال مجموعة من الحجج المقنعة، لأنه يكشف دائماً أنهم أكثر نفوذاً ومدانون بتهمة عبادة الأوثان و مكرسون لخرفات عتيقة، لأنه يرى أن لا شيء تغير بوجود المسيحية وفي هذا الشأن يقول: "منذ أن بدأ استخدام اسم الديانة المسيحية على الأرض، ما هي الظاهرة التي لم يسبق لها مثيل؟ والتي لم يسمع بها من قبل؟ ما هو الحدث الذي يتعارض مع القوانين الموضوعية في البداية؟ هل غيرت الكرة الأرضية من حركتها الاعتيادية؟⁽¹⁾ إما أن تتحرك ببطء شديد أو تتسرع في الدوران؟ هل بدأت النجوم في الارتفاع نحو الغرب والأبراج في الشرق؟ هل الشمس نفسها رئيسة الأجسام السماوية؟ هل تلبس كل الأشياء بضوئها؟ هل توقف القمر عن تشكيل نفسه من جديد؟ هل تغيرت نكهة الفواكه أو هل تغيرت الكرمة في عصرها؟ وفي نفس الوقت يضع جانباً كل الخلاف ويختبر الوثنيين من خلال موازنة الاعتبارات من كلا الجانبين.

كما انتقد روما لأنها حطمت تماماً بعض الأمم وأخضعت أمماً أخرى لنيرها. في نفس الوقت دافع أرنوبيوس عن المسيحيين ضد الاتهام بأن مصائب كثيرة حلت بالدولة الرومانية بسبب وجود اتجاهات متباينة فيها. في دفاعه قال أنه خلال الـ 300 عاماً من وجود المسيحية⁽²⁾: (وُجدت انتصارات لا تحصى على الأعداء المهزومين، وقد اتسعت رقعة الإمبراطورية وأمم كثيرة لم يُسمع عنها من قبل خضعت لها⁽³⁾).

فبعد دراسة كتاب وأفكار أرنوبيوس بعنوان "ضد الأمم" فمن خلال عنوان عمله نعرف أن أرنوبيوس تأثر بأعمال ترتليانوس لأن لهذا الأخير كتاب بعنوان "للأمم" فإن ترتليانوس سبق وأن عالج هذا الموضوع سواء في كتابه "للأمم" أو "الدفاع" ويعد من المدافعين الأوائل عن المسيحية والمسيحيين وساعده في ذلك إتقانه اللغة اللاتينية وأيضاً اليونانية، ونبغ في علوم عصره حيث تضلع في الفلسفة، واستوعب الدراسات القانونية حتى أصبح من أصحاب الرأي فيها.

(1) Arnobius, Adversus, op cit. I-2

(2) Ibid, I-13

(3) Ibid, I-14

عمل ترتليانوس بالمحاماة وأصبح من المحامين المشهورين المشهود لهم، وكسب قضايا عديدة في روما نفسها.

ووضح ترتليانوس في كتابه "للأمم" أن الإجراءات الرسمية المتبعة ضد المسيحيين ليست فقط غير عادلة بل أنها تناقض مع مبادئ العدالة. وهذا الظلم هو نتيجة لجهل الوثنيين وعدم معرفتهم بالمسيحيين معرفة صحيحة ثم يفند المؤلف الادعاءات الكاذبة ضد المسيحيين ويثبت عدم صحتها وكذبها ويضيف أنه حتى لو كانت حقيقية. فهذا لا يُعطي الوثنيين الحق في إدانة المسيحيين لأنهم هم بأنفسهم يرتكبون جرائمًا أبشع. وفي كتابه الثاني اتخذ منهجًا هجومياً، إذ كتب نقدًا لاذعًا للديانة الوثنية بصفة عامة، وللمعتقدات الرومانية في الآلهة بصفة خاصة. وتحدث عن مفهوم الإله وبرهن على أن الآلهة الوثنية ليست إلا اختراعات بشرية ودعا فيه ترتليانوس ضمير الأمم النظر في معتقداتهم الوثنية هل هي بآلهة حقيقية كما يزعمون أم هي كيميائية.

فتقربا كل الأفكار التي درسها وسعى إليها أرنوبيوس قد حللها ودرسها ترتليانوس في كتابه "للأمم" وفي كتاب "الدفاع" فهما حاول إبراز الاختلاف بين المسيحي والمجرم وفي هذا يقول: "أن المجرمين ينفون جرائمهم إذا اتهموا ويتحسرون إذا عوقبوا، لكن المسيحيين يتشبثون بمعتقدهم ويفتخرون به ولا ينكرونه"⁽¹⁾. كما حاول التأكيد على أن الاتهامات الموجهة ضد المسيحيين باطلة وأن المسيحيين لا يحاولون إلا العيش حياة عقائدية مسالمة، كما أنه واجه القضاء الروماني كونه يقاضي المسيحيين، ليس لارتكابهم المخالفات والجرائم وإنما لكونهم مسيحيون، فهم يحاكمون على أساس اسمهم فقط⁽²⁾. وبين ترتليانوس أن المسيحيين ليسوا هم سبب الكوارث رد ترتليانوس على الدّعى الباطلة بقوله: "أنهم يرون النّصارى سبب كلّ الكوارث العامّة وكلّ بلايا الشّعب " منذ ظهورهم" إن فاض التّير في روما أو لم يغمر النّيل بمياهه الحقول، إن أمسكت السّماء ماءها أو مادّت الأرض أو حلّت مجاعة أو انتشر وباء، فوراً يعلو الهتاف: "النّصارى إلى الأسد"; ويحكم على كلّ هؤلاء إلى أسد واحد؟⁽³⁾ ... ويذكر أفلاطون أنّ أرضاً أوسع من أفريقيا أو آسيا هوت إلى قاع البحر الأطلنطيّ

(1) Tertullien, le premier livre AD NATIONES, Traduction et Introduction de André (Schnider), edi, Attinger, S.A, à Neuchatel, 1968, I-1.10

(2) Arnobius Adversus, op cit, I-3.4

(3) Ibid

(1)؛ كذلك بلغت هزة أرضية ماء بحر كورنتوس⁽²⁾ واقتطعت قوة الأمواج وأفردتها في شكل صقلية: ما حلت تلك الكوارث دون الاضرار بالسكان....⁽³⁾ ونجد هذه الفكرة عند أرنوبيوس في الكتاب الأول الفصل الخامس للرد على الوثنيين بقوله: "حققنا ذلك، قبل عشرة آلاف عام انفجر، عدد كبير من الرجال من الجزيرة التي يطلق عليها أطلنطس، كما يخبرنا أفلاطون، ودمرت تماما ومحيت قبائل لا حصر لها؟ هل كان ذلك بسبب اسمنا؟⁽⁴⁾ فهذا يدل على أن أرنوبيوس اطلع على كتاب "الدفاع" لترتليانوس وتأثر به ومن جهة أخرى لا ننسى أنهما كانا على الديانة الوثنية ومطلعين على الكتب القديمة أعمال شعراء الإغريق والفلاسفة والمؤرخين فبالتالي متفقهين بالأحداث التاريخية فاكتسبا معرفة واسعة فعرفا كيف يردان على هجومات الوثنيين ولكن مهما يكن فإن ترتليانوس كان بمثابة الركيزة والدليل لأرنوبيوس في كتابة مؤلفه.

وتوجه ترتليانوس لحكام الإمبراطورية للنظر من حولهم لمسألة المسيحيين وفي هذا الشأن قال: "إن لم يسعكم يا ولاة الإمبراطورية الرومانية النظر علانية من علاء منزلتكم المرموقة على رأس الدولة في قضية النصارى...، فاسمحوا على الأقل بأن تصل الحقيقة إلى مسامعكم من خلال رسالة خرساء لا ترافقها أية ضجة"⁽⁵⁾. وتوجه أرنوبيوس أيضا مثل ترتليانوس لحكام الإمبراطورية يذكرهم بانتصاراتها بعد تواجد المسيحيين لمدة 300 سنة⁽⁶⁾ بقوله: "عرفت الإمبراطورية انتصارات عدة على الأعداء واتسعت رقعة الإمبراطورية وأخضعت أمم كثيرة لم يسمع لها من قبل...؟"⁽⁷⁾ ربما ما يقصده أرنوبيوس هنا بمشاركة المسيحيين في الحروب ضد أعداء الإمبراطورية الرومانية تمكنت من تحقيق عدة انتصارات واتسعت رقعتها، ومن جانب آخر يمكن أن نفهم أن بوجود المسيحيين بعد 300 سنة لم يكونوا سببا في المصائب والكوارث التي حلت بالإمبراطورية وإنما العكس فقد عرفت المجد

(1) أو المحيط الأطلسي وكان مصطلح المحيط يطلق على المياه التي وراء مضيق جبل طارق والذي هو الآن المحيط الأطلسي. كان اليونانيون يعتقدون أن هذا المحيط نهر عملاق يطوف العالم كله.

(2) بين خليج كورنتوس غربا الذي يتصل بالبحر الأيوني والبحر الأدرياتيكي وغربي البحر المتوسط. ووسط هذا كله، تقع مدينة كورنتوس.

(3) Tertullien, Apologétique, XL-7, Traduction, J-P(Waltzing), Paris, 1914

(4) Arnobius, op cit, I-5

(5) Tertullien, Op cit, Apologétique, I-1

(6) Arnobius, opcit, I-13

(7) Ibid,

بعد أن حققت عدة انتصارات في معاركها ضد الأعداء، ولذلك على الحكام إعادة النظر في قضية المسيحيين. فهي فكرة أخرى استوحاها بلا شك من ترتليانوس؟

نلتمس هنا أيضا تأثير ترتليانوس على أرنوبيوس فيما يخص سخرية هذا الأخير على آلهة الوثنيين صحيح أنه لم يستعمل نفس الأمثلة لكنه اقتبس منه الفكرة.

رد ترتليانوس على الوثنيين في كتاب الدفاع في الفصل 17 بتبيان حقيقة إله النصراني بقوله: "ربنا إله واحد نحن له عابدون، هو من أنشأ بكلمته ودبر بعنايته وقدر بقدرته هذا الكون"⁽¹⁾ وذكر أرنوبيوس من جهته للوثنيين بأن الله هو حاكم ورب الكون. لكنه يتحدث كثيرا عن سيدينا عيسى عليه السلام للاستشهاد بأمثلة أو للرد على الوثنيين في جداله أكثر من ذكره لله سبحانه وتعالى خاصة في الكتاب الثاني في هذا الشأن يقول: "أن الله تعالى والأسعى، يبدو لكم شيئا جديدا لكن ليس هناك شيء أقدم منه؟ ولا يمكن العثور على شيء سبقه في الوجود والزمان والأمم هو وحده غير المخلوق، الخالد والأزلي، باسمه ندين بالخلود، هو الأبدى به تستمر العصور بلا نهاية؟"⁽²⁾ هذا ما قام به ترتليانوس فيما يخص دفاعه عن الديانة المسيحية والمسيحيين مقارنة بعمل أرنوبيوس أين استنتج عنوان عمله "ضد الأمم" من كتاب ترتليانوس "للأمم".

الخاتمة:

يعتبر أرنوبيوس من المدافعين الأفارقة عن الدين المسيحي والمسيحيين، واصل عمل أسلافه الأفارقة خاصة ترتليانوس، فقد اطلع على كتبه "للأمم" و"الدفاع" فوضع كتابه "ضد الأمم" دحض فيه الاتهامات الموجهة للمسيحيين على أنهم سبب كل المصائب التي حلت بالإمبراطورية الرومانية. فتمكنه من فن الخطابة والإقناع من خلال دراسته للكتب الكلاسيكية عرف كيف يرد على العقائد الوثنية ومختلف الفلسفات الوثنية التي لا توافق مبادئ وعقائد المسيحية.

استعان أرنوبيوس بأسلافه الأفارقة خاصة ترتليانوس وما توصل إليه من إنتاج فكري كان باقتباس بعض الأفكار والمعلومات، إلا أنه اجتهد في صياغة المفاهيم الخاصة به، وبين ما يصب إليه من مسلمات المعرفة بطريقته الخاصة، لكن مهما يكن فقد ساهم في التذكير

(1) Tertullien, Apologitique, op cit, XVI-1.2

(2) Arnobius, Op cit, II-72

بما هو معلوم للناس فتكراره للمواضيع التي كتب فيها أسلافه خاصة ترتليانوس ليذكر قراءه بالمواقف التي يجب اتباعها وبذلك يكون قد لعب دوره في التذكير والتبليغ والتبشير والإنذار، وداعا الناس للهداية والطريق المستقيم.

المصادر والمراجع

المصادر:

- (1). Arnobius, **Adversus Nation**,
www.thelatinlibrary.com/arnobius.html
- (2). Jérôme(s), **Les Hommes Illustres**, Traduction par (Bareille)
L'abbé, paris, 1878
- (3). Jérôme(S), **Sur Les Ecrivains Grecs Et Latins**
- (4). Tertullien, **Apologétique**, Traduction, J-P(Waltzing), Paris, 1914
Le premier livre **Ad Nationes**, Traduction et Introduction de
André (Schnider), edi, Attinger, S.A, à Neuchatel, 1968

المراجع :

- (1). Cabouret(Bernadette), **L'Afrique Romaine** de 69 à 439, Edi. Du temps, 2005 **Romanisation Et Christianisation**
- (2). Hadadou (M.A), **Les Berbères Célèbres**, edit, Berti Alger, 2003
- (3). Henri(Le Bonniec) **Tradition De La Culture Classique** -Arnobé, **Témoin Et Juge Des Cultes Païens**-By créative commons, 1974
- (4). James (Fraser), **Le Dieu qui Meurt**, Adonis et Osoris, Edi, Robert Laffont coll, §Bouquis§,1983
- (5). Monceaux (P), **Histoire Littéraire De L'Afrique Chrétienne**, Edi, 1901, T3
- (6). Sébastien(Filion), **Histoire De Rome Et Providence Divine Selon Arnobe De Sicca**, San date 2011